



تحمُّل المسؤولية - اللقاء الأول

خطب الجمعة

محاضرة بعنوان

2025-12-15

الأردن - عمان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كلمة مسؤول ليست كلمة نترَّّم بها وإنما كلمة ينبغي أن نُطْرِق ونفَّكِر فيها:

أخواننا الكرام: بعض الآيات في كتاب الله تضع الإنسان أمام مسؤولياته، وئيّن له أنه مسؤول، اليوم بعض الناس إذا تسلّم منصباً رفيعاً في الدولة، يتربّّم بهذه الكلمة ويقول: أصبحت مسؤولاً، ومنذ متى لم تكن مسؤولاً؟ أنا مسؤولة وأنت مسؤول وكلنا مسؤولون، فكلمة مسؤول ليست كلمة نترَّم بها، وإنما كلمة ينبغي أن نُطْرِق ونفَّكِر فيها، لأنَّ المسؤول ينبغي أن يُعَدَّ حواياً، مسؤول على وزن مفعول، وفعله يُثْبِل، فحين سُئِّلَ ومن سُئِّلَ، فجئَ بِيُثْبِلَ، لأنَّه عَطَّمَت المكانة عَطَّمَت المسؤولية، فالإنسان يكون مسؤولاً عن نفسه، ثم يتزوج فَيُصْبِح مسؤولاً عن نفسه وزوجته، ثم تُنْجِب فَيُصْبِح مسؤولاً عن نفسه وعن أولاده، ثم يَعْمَل فَيُصْبِح مسؤولاً عن عَمَالَه، ثم يَدْخُل في سِلْكٍ مُعِينٍ فَيُصْبِح مسؤولاً عن مجموعة كبيرة من الناس وهكذا، قال تعالى:

يَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُوْمٌ لِإِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (24)

(سورة الصافات)

وقال تعالى:

فَلَتَسْأَلُنَّ الَّذِينَ أُرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَلَتُسْأَلُنَّ الْمُرْسَلِينَ(6)

(سورة الأعراف)

نَحْنُ سُتُّسْأَلُ وَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ أُرْسَلُوا إِلَيْنَا سُتُّسْأَلُونَ:

نحن سُئلنا وأَنْبِياءَ الدِّينَ أَرْسَلُوا إِلَيْنَا سِيَّسَلُونَ، نحن سُئلنا ماذا أَجْتَمِعُ مَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالصِّدْقِ فَهُلْ صِدْقُهُمْ؟ سَعْيُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَا عَنِ الْغَيْثِ فَهُلْ صِدْقُهُمْ؟ وَسَعْيُنَا لِلْأَيْمَةِ وَالْمُرْسَلِوْنَ إِذَا بَلَغُوا الْأَمَانَةَ أَمْ قَضَرُوا فِي تَبَلِّغِهَا، وَهُمْ يَلْغُوُهَا وَشَهَدَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَدَى الرِّسَالَةَ، وَلَعِنَ الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأَمَةَ، لَكِنْ قَالَ: (فَلَئِسَ الْأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ وَلَئِسَ الْمُرْسَلِيْنَ) فَكُلُّنَا مَسْؤُلُوْنَ أَمَامَ اللَّهِ، الدَّاعِيَةُ مَسْؤُلٌ وَالْمَدْعُوُ مَسْؤُلٌ، الْعَالَمُ مَسْؤُلٌ وَالْمُعْلَمُ مَسْؤُلٌ، كُلُّنَا مَسْؤُلُوْنَ أَمَامَ اللَّهِ، وَقَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَرِبِّكَ لَتَسْأَلُهُمْ أَخْمَعِينَ(92) **عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**(93)

(سورة الحجر)

هذا قسم، هذه الآية اجتمع فيها أربعة مؤكّدات لم تجتمع إلا في آياتٍ قليلة في كتاب الله تعالى، أربعة مؤكّدات، المؤكّد الأول هو القسم (**فَوَرِّبَكَ**) عندما تُقْسِمْ تُؤكّد. يُروي أنَّ أعرابياً سمع رجلاً يقرأ قوله تعالى:

(سورة الذاريات)

فالقول: «من أغضب الحليم حتى حلف؟» فالقسم يدل على وجود شيء يستدعي القسم، فالله تعالى هنَا يُقسِّم (فَوْرِثَكَ) يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فيقسم، فالقيمة هو المؤكّد الأول، والمؤكّد الثاني هو الام الواقعه في حواب القسم (فَوْرِثَكَ لَتَشَأْلَهُمْ) هذه الام للتوكيده، والمؤكّد الثالث هو نون التوكيد التقيله (التسائلَ) هذه أيضًا مؤكّد، والمؤكّد الرابع (أَجْعَمْنَ) هذا يُعرّب في اللغة توكيده لفظي.

فأربعة مؤكّدات في آية واحدة لعلم الإنسان أنه سينسأل (قولك لك تنشئهم أجمعين) (٩٢) عما كانوا يتعلّقون، فهذه الآية كما قلنا فيها أربعة مؤكّدات لأنّها ستنسأّل جميعاً.

قيمة المسؤولية هي القيمة التي تجتمع فيها كل القيم الأخرى:

الآن قيمة المسؤولية هي القيمة التي فيما أرغم أنها تجتمع فيها كل القيم الأخرى، يعني الصادق هو إنسان مسؤول يتحمّل المسؤلية، الكاذب لماذا يكذب؟ لأنه لا يريد أن يتحمّل مسؤولية الصدق، مثال: إذا سألت طفلاً صغيراً من كسر الزجاج؟ الطفل المعناد على الصدق يقول أنا من كسرها، يتحمّل المسؤولية، قد يعاقبه أبوه لكنه لا يكذب، فأنت جعله يعتاد على تحمل المسؤولية همما كانت النتيجة، الكاذب يقول: أنا لم أكسرها، لماذا؟ لأنه يريد أن ينجو من تحمل المسؤولية، لأنه لو قال: أنا الذي كسرتها سيُعاقب، سينتَجَ نتائجه عمله وسيسأل، فهرب من تحمل المسؤولية.

الأمين هو إنسان يتحمل المسؤولية، معه مبلغ من المال يقول لك: أنا مسؤول عن هذا المبلغ لا أؤدي إلا لصاحبه، مستحيل أن أعطيه إلا لصاحبه، الأمانة أحملها إلى أن أؤديها إلى أصحابها، لأنه يتحمل المسؤولية، خلق الوفاء هو خلق فتنق عن تحمل المسؤولية، لأن المسؤول يقول لك: قلalan أدى لي معرفاً لا أنساه إلى أن أموت، يبقى يتحمّل الفرصة ليزدّ له معروفة، فهو يتحمل المسؤولية، فقالوا: لو حُمِّلت القيمة كلها كان تحمل المسؤولية هو الأصل فيها، أن الإنسان يتحمل المسؤولية.

جيل اليوم في مُعظمها يريد أن يُحَمِّل المسؤولية إلى غيره:

الآن الجيل الذي نراه اليوم في مُعظمه ولا أعمّم، وأيَّلاً من أهله، ويُغَلِّطُ من مُعلميه، ويُسيِّبُ وسائل الإعلام، يُ يريد أن يُحَمِّل المسؤلية إلى غيره، هو لا يريد أن يتحمَّل المسؤلية، سيدنا أسماء بن زيد كان عمره سبعة عشر سنة عندما قاد جيشاً، أنت تقول: اليوم مستحبٌ! أي شاب عمره سبعة عشر سنة لا يستطيع أن أسلمه عشرة إسخاص وليس جيشاً، بعض الشباب اليوم بعد أن يتزوج يقول: والذي قدَرْ معِي لم يُعطِنِ، أصبح لديه زوجة وأولاد وما زال يُحَمِّل مسؤوليته على والده، بالأعمَّ الأغلب، فالناس اليوم تراجع عندهم تحمل المسؤلية، أنا أقول: والله لو أنك رأيت إنساناً بورقة من نافذة السيارة، هو لا يتحمَّل المسؤلية، ليس مسؤولاً لا يُشعر بالمسؤولية، حتى تصل إلى الحاكم الذي لا يُقيِّم العدل في حُكمه، فهو لا يتحمَّل المسؤلية، من إبقاء القمامات في الطريق إلى الحكم، كله إنما أن يكتشف إنساناً يتحمَّل المسؤلية، أو يُحَمِّل مسؤوليته على الآخرين، لذلك قيمة المسؤولية من أعظم القيم، لذلك رُشِّنا جل جلاله يُحَمِّلنا مسؤولياتنا في القرآن الكريم بشكٍ واضح، لا يُريدك أن تُحَمِّل المسؤلية إلى أطرافٍ أخرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوَلَمَا أَصَابَكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مُّلْئِها فُلْنُمْ أَتَى هَذَا فُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(165)

(سورة آل عمران)

(أَوَلَمَا أَصَابَكُم مُّصِيبَةٌ) في أحد (قَدْ أَصَبْتُمْ مُّلْئِها) في بدر (فُلْنُمْ أَتَى هَذَا فُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) تحمل المسؤولية، أنتم تركتم جيل الزمرة، ما قال: هو من شدة أعدائهم، ما قال لهم: هو من خالد بن الوليد الذي انتهى إلى خطلكم، فلو لم يكن موحوداً لغضي الأمر، لا أحد (فُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) فالقرآن الكريم يحمل الناس المسؤولية.

اليوم تقول لإنسانٍ لماذا لا تصلّي؟ يقول لك: ربّك لم يأذن لي، لا يريد أن يتحمل المسؤولية، لا يقول لك: أنا مُقصّر، يقول لك: ربّنا لم يأذن لي! ربّنا أذن لك قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوْا الرَّزْكَاهُ وَإِرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ(43)

(سورة البقرة)

الاذن جاء لكن أنت لا تريد أن تصلّي، أنت مُقصّر في الصلاة، يقول مثلاً: أنا أتأخر في عملي كثيراً! كذلك الناس عندهم أعمال ولكن يجعلون الصلاة في أولوياتهم، فهو يريد أن يحمل المسؤولية للآخرين حتى ينجو بنفسه، القرآن يضعنا أمام مسؤولياتنا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ دَرَرٌ حَيْرًا يَرَهُ(7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ دَرَرٌ سَرَّا يَرَهُ(8)

(سورة الزلعة)

مسؤولية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْرَمَتَهُ طَائِرَهُ فِي عَنْقِهِ وَتُنْهِرُ لَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كِتَابًا بِلْفَاهُ مَنْشُورًا(13)

(سورة الإسراء)

مسؤولية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَنْزِرْ وَزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُنْقَلَةً إِلَى حِمْلِهِ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا فُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْسِنُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَقَنْ تَرَكُوا قِلَّاتِهَا يَتَرَكُوا لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ(18)

(سورة فاطر)

في أكثر من آية في كتاب الله، الوارثة هي النفس التي تحمل الوزر، أي لن تحمل نفسٌ مثقلة جمل نفسٍ أخرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكُلُّهُمْ أَتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرِدًا (95)

(سورة مريم)

لا أحد سيحمل عن أحد هذه مسؤولية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُخَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوقَنِي كُلُّ نَفْسٍ كُلُّ نَفْسٍ تُخَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا (111)

(سورة النحل)

لا يوجد محامي يأتي معك للدفاع عنك يقول لك: أنا أنكلم عوضاً عنك، أو أنت تقول لله عز وجل أنا لا أنكلم دع فلاناً يتكلمن عني (بَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُخَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا)

مسؤولية.

أروع الآيات في المسؤولية قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَإِنَّمَا تَقْسِيَكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)

(سورة النساء)

وفي آية أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَيْمَنًا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُسَيَّدَةٍ إِنَّمَا تُصْبِهِمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ
عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ فَمَالِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيبَةً (78)

(سورة النساء)

(قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ) في مُحَضِّله الأمر لأننا نؤمن أنه الفعال جل جلاله، ولو لم يأذن لما حصل، لكن أنت عندما تقع في حسنة تنسبها إلى الله، وعندما تكون أمام سيئة تقول: هذه من نفسي أنا أخطأ، لا تقل هذه من الله.

الناس اليوم يحملون مسؤولياتهم للأخرين:

ما الذي يفعله الناس اليوم؟ يحملون مسؤولياتهم للأخرين، لا يقول لك المصيبة من نفسي، إن أصابته حسنة مثلاً نجح في الامتحان، تقول له: ما شاء الله العلامات عالية في التوجيه، يقول لك: أنا درست وتعيت، تعيت وحصلت أحسن بارك الله بك، بعد حين يفشل في شيء، تقول له: فشلت في تجارتكم؟ يقول لك: هذا من الله، الله لم يأذن، الله لم يُرِد، هو يحمل الحسنة والنجاح لنفسه، ثم يحمل سيئة على ربه، لا يقول لك: نحن قصراء، يقول: ربكم ما أذن، كلمة حق أريده بها باطل، هي في الظاهر أنه كله يأذن الله عز وجل، لكن في الحقيقة هو يريد أن يحمل المسؤولية لجهة أخرى حتى ينجو هو، فقال له تعالى: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَإِنَّمَا تَقْسِيَكَ) تحمل أنت المسؤولية.

لذلك نقول دائمًا: نحن نؤمن بالقدر لكننا لا نتحقق به على تقصيرنا، الإيمان بالقدر شيء والتتحقق به لتبرير تقصيرنا شيء آخر، القدر نؤمن به، خيره وشره من الله، كله

قدره من الله، لكن نحن لا نُبَرِّر تقصيرنا بالقدر.

لذلك يُروى أنه أتى لأحد الخلفاء بشارب خم، فقال: >، قضاء رُبُنا لا يخرجك من أنك أنت الذي تختار أن تسلك هذا الطريق أو هذا الطريق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا هَذِينَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(3)

(سورة الإنسان)

فالإنسان دائمًا كآلية دفاع من غير أن يشعر، يحمل تقصيره لجهة أخرى، ظلموني، تأمرنا على، إن لم يجد ولا جهة لأن يقول لك: فلان ظلمني، فلان تاجر علي، لا يريدونني في السوق، أي إن لم يجد ولا جهة يحملها تقصيره، فيذهب للقدر لأنه لا أحد سيزد عليه، بالقدر لا يوجد جهة دفاع، فيقول لك: القدر، وإذا لم تقنع معه كثيراً، يذهب معك لأبعد من ذلك فيقول لك: ربنا عز وجل لينجو بقصيره.

أول معصيَتَين كاتنا معصيَتنا آدم وزوجه، ومعصيَة إبليس:

أول معصيَتَين عصيَ الله تعالى بهما في الأرض، كاتنا معصيَتنا آدم وزوجه، ومعصيَة إبليس، آدم وزوجه أتوا معصيَة إبيان، المعاشي نوعان: إبيان وترك، أن تتزَكَ شيئاً أو أن تأتي شيئاً، آدم وزوجه أتوا ما حَرَّمه الله تعالى، وسمَّاه الله معصيَة ما جاملهما.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَكَلَّا مِنْهَا قَبَدَتْ لَهُمَا سَوْأَتْهُمَا وَطَفِقَا يُخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدُمُ رَبَّهُ فَعَوَى(121)

(سورة طه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدُمَ مِنْ قَبْلِ قَنَسِيَ وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا(115)

(سورة طه)

فآدم عصيَ ربي وكانت معصيَته معصيَة إبيان، أتى الشجرة التي حَرَّم الله أن يقرها، إبليس كانت معصيَته معصيَة ترك، بمعنى أنه اسْجُد، تَرَك السجود لآدم، فهو معصيَتان، طبعاً معصيَة آدم وزوجه كانت معصيَة عَلَيْهِ نُسُقُّها ضَعْف، معصيَة إبليس كانت معصيَة استكبار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا إِلَّا إِبْلِيسُ أَبْيَ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(34)

(سورة البقرة)

وشَيَّان بين العَلَيَّة والاستكبار، لكن انظر ماذا فعل آدم عليه السلام تحَمَل المسؤولية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَالَا رَبَّنَا طَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَعْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْحَاسِرِينَ(23)

(سورة الأعراف)

نحن طلمنا، كان يوسعهما أن يقولوا: إبليس وسوس لنا نحن لا علاقة لنا، لو لم يوسموس لما كنّا أتبينا، كان يوسعهما أن يقولوا: نحن نريد أن تكون ملائكة، نحن يا رب عندنا هدفٌ إيجابيٌّ وقصدٌ إيجابيٌّ، تُريد أن تُصبح من الملائكة وقلالوا لنا هذه الشجرة ستجعلك ملكاً، فاقربنا لها غذْر مُخفَّف، كان يوسعهما أن يقولوا: هذه أول معصية يا رب، نحن لا نعلم ما معنى المعصية، هذه أول مرة لا نفهم ما معنى المعصية، هذا إبليس كان موجود مع الملائكة نحن لا نعرف، اعتقدنا أنه يتكلم الصدق، يعني الأعذار كبيرة، لكن آدم وزوجه لم يُتّرا المعصية أبداً (فَإِنَّا رَبَّنَا طَلَّمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَعْفُرْ لَنَا وَتَرَخْمَنَا لَنَكُونَنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَلَقَّى آدُمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(37)

(سورة النّقرة)

التوبة سهلة، لأنهما تحمل المسؤلية، لكن ماذا فعل إبليس اللعين؟ إبليس اللعين لا يريد أن يتحمل المسؤلية، أراد أن يُحمل المسؤلية على غيره فأين وضعها؟ على آدم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرُوكَ قَالَ أَنَا حَيْرٌ مِّنْهُ حَلَقْتِي مِنْ نَّارٍ وَحَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ(12)

(سورة الأعراف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْعِيَامَةِ لَأَحْتَكَنَّ رُزْقَنِي إِلَّا فَلِيلًا(62)

(سورة الإسراء)

أنت كرّمه علىَّ، المشكلة عنده هو متكيّر أنا لا دخل لي، أنا أفضل منه، هذا التبرير ما علاقته بالموضوع؟ أنت لم تسجد، قُل أنا أخطأت، لا بل قال: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) ثم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا(61)

(سورة الإسراء)

المشكلة عنده هو لأنه هو من طين، لو كان من نار كنت سجدت له لكن هو من طين، يعني حمل المسؤلية على غيره، فلما رأينا عَرَّ وحل عاقبه لأنه لم يتحمل مسؤلية عمله ويستغفر، حمل المسؤلية على ربِّه قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ فَيَمَا أَعْوَيْتِنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكُ الْمُسْتَقِيمَ(16)

(سورة الحجر)

أنت أغوبتي، أنا لست ضالاً لكن أنت تُريد أن تُصلّني، وأي ضلالٍ أعظم من أنك لم تسجد؟ (قالَ قِيمَاً أَعْوَبْتَنِي).

فأول معتبرين عصي الله بهما في الأرض: واحدة عَلَيْهِ وصعف، والثانية استكبار، واحدة فيها تحُلّ مسؤولية، وواحدة فيها عدم تحُلّ مسؤولية، الأولى كانت نتيجتها توبه من الله عَزَّ وجلَ (فتَابَ عَلَيْهِ) والثانية كانت نتيجتها لعنٌ وطرد من رحمة الله عَزَّ وجلَ، لأنَّ إبليس ما أراد أن يتحمّل المسؤولية.

تحمُّل المسؤولية هو شجاعة:

ذلك قلت في البداية أنَّ تحمل المسؤولية هو شجاعة، أنَّ الإنسان يقول أنا أخطأت، الناس بالعموم دائمًا يبحثون عن طريقة ما لتألُّ يقول: أنا أخطأت، إلا من رحم ربِّي، يبحث عن طرق، وحتى إذا قرر مرةً أنْ يعترف بخطئه فيقول لك: فعلاً بيذوأني أخطأت لكن.. يعني لا يقول لك: أنا أخطأت وبصمت يقول: لكن، وما بعد لكن هو محاولة للنجاة من أني أخطأت، يعني: لكن هُم بذروا، لكن هو قال لي، لكن أنا لم يكن قصدي، لكن أنا قلبي طيب جداً، فهو بعد أن يقول أنا أخطأت، يضع لكن لكن الذي ينجو مرةً ثانية من أن يكون هو الذي أخطأ.

لذلك أنا أقول دائمًا: كآلية دفاعية من عندك، إذا وضعت مع إنسانٍ ووصلت معه لمكانٍ أنه قال لك: يبدو أنَّ هناك خطأً من عندي، فُل له: نعم ممتاز لكن أنت معك حقًّا أيضًا بمكانتِ ثانية، أنت حاول أن تبرر له قبل أن تبرر هو، حتى تصل معه لطريقٍ صحيح.

لذلك ورد في بعض الآثار وإن كان لا يصحُّ حدِيثًا: "لا تُحَمِّلُوا الْوَجْهَ" يعني أنت لا داعي لأن تحرش ثم تقول: أنا أخطأت وأنا سيء، إذا استطعت أن تصل لمكان أنه هو في داخله عرف نفسه أنه عنده إشكال ويجب أن يُصحِّح سلوكه أمام الله عَزَّ وجلَ، فأنت قد حَقَّقت المطلوب، ليس المطلوب أن تُحرج، لأنَّ الناس بالاعم الأغلب لا يعترفون بأخطائهم، فأنت افتع له مخرجاً، وبالتالي إذا كنت أنا بالطرف الثاني، حاول قدر الإمكان أن تكون جريئًا أن تحمل المسؤولية، فعلاً هذا الخطأ مُنْيٌ وأنا أتحمّل مسؤوليته، من غير لكن.

أسباب عدم تحمل المسؤولية:

أسباب عدم تحمل المسؤولية في العادة سببان رئيسيان:

السبب الأول الشعور بالضعف، والسبب الثاني تصرُّم الذات والكين، أنا ضعيف أنا لا أقدر على تحمل المسؤولية، أنا قوي أنا لا أخطئ، بالحالتين لا يتحمل المسؤولية، الضعيف لا يتحمل المسؤولية، والذي يظن نفسه قوياً لا يتحمل المسؤولية، التكبر يعني تحمل المسؤولية، والشعور بالضعف يعني تحمل المسؤولية.

لذلك مع أولادنا، مع أحفادنا، مع طلابنا، مع الناس، فُل له: أنت لست ضعيفاً، أنت عندك إمكانية، انظر إلى الفارس، انظر إلى الدين من الصغر، ضعوا وتحدون العالم كلَّه، انظر إلى من يُطَّلَّ أنه ضعيف، لذلك كانوا يقولون: "أنا ضعيف وهذا سُرُّ قوتي، وأنت قوي وهذا سُرُّ ضعفك"، لأنه أنا ضعيف فأنا أبحث عن أي طريقة لأصنف قوة، فترى إيداعيات من الصعفاء لا تجدها عند الأقوياء، أنا ضعيف فأنا أحاول كل جهدي أن أفعل شيئاً فُيمكِّنني الله منهم، عندما أكون قوياً قد يُصبح هذا سُرُّ ضعفي، لأنه أنا طنبت نفسي مُتمكِّناً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنِّي اللَّهُمَّ بُنْيَاهُمْ مِنَ الْغَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ (26)

(سورة النحل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوْلِ الْحَسْرِ مَا طَنَّتْمُ أَنْ يَخْرُجُوا وَطَلَّوْا أَنَّهُمْ مَآبِعُنَّهُمْ حُضُونُهُمْ مِنْ اللَّهِ
فَأَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَخْتَسِبُوا وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةُ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ يَأْذِيَهُمْ وَأَيُّدِيُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَعْتَدُوا بِاً أُولَئِكَ
(الأيّار)(2)

(سورة الحشر)

المؤمن يعطي حجمه الطبيعي ويتحمّل مسؤولياته ضمن طاقته:

فقد تكون القوة مصدر ضعف، وقد يكون الضعف مصدر قوة، فالضعف لا يتحمل المسؤولية، أما المؤمن فيعطي حجمه الطبيعي، أنا لست ضعيفاً، أنا قوي بقوه الله، لكن بنفس الوقت أنا متواضع، لا آخذ مكاناً أكبر من مكاني، وبالتالي أتحمل مسؤولياتي ضمن طاقتى، أنا مسؤول أمام الله، مسؤول عن زوجتي، عن أولادي، عن بيتي، عن الأمة، معي مالٌ مسؤول عن مساعدة الفقراء، معي قوه مسؤول عن إحقاق الحق وإبطال الباطل، أنا مسؤول، يجب أن يشعر الإنسان بالمسؤولية بُجاه امته، من نتيجة هذين السببين، من أسباب عدم تحمل المسؤولية، الشعور الدائم بالظلم، الناس دائماً مظلوم، الناس دائماً تُمارس عليهم عدالتهم بالظلم، فالشعور الدائم بالظلمية من أسباب عدم تحمل المسؤولية.

أنا كنت مدرِّساً لأطفال صغار وأتم كلّكم عندكم أولاد، أو كنت مدرِّساً وتعرف مجتمع الأولاد، ما يفعله الأولاد ببراءة ونصحك من فعلهم، يفعله الكبار لكن بطرق أخرى بحيث لا يظهر فعلهم، يعني الصغار بالصف تقول لهم مثلاً: قن لم يكتبوا الواجب؟ فيقول لك أحددهم: لم تكتبه يا أستاذ، فأقول له: لم تقول لم تكتبه؟ أنت لم تكتبه بينما زملاءك كيوا، هو يبتغي أنه إذا قُضِيَ الخطأ سينجو، آلية دفاعية، ويفعلوها الناس الكبار لكن بطريقة مختلفة، مثلاً: تقول لشخصٍ لماذا لا تُصلِّي؟ فيقول لك: رأينا الذين يصلون في المساجد كيف يكروا، ما علاقة هذا بهذا؟!

مثلاً: لماذا لست محجبة؟ تقول لك: رأينا المحجبات كيف، رأينا فلانة كيف لسانها وكلامها مع الآخرين، لا تترك أحداً من شرّها! أنت كوني محجبة ومؤدية، فهي تحاول أن تعمم الخطأ لتتجوّه هي.

الشعور بالظلمومة:

فالصغار يفعلوها والكبار يفعلوها، الآن الشعور بالظلمومة مثلاً يأتي ابنك فتقول له: ما هذه العلامة المُتدنية؟ فيقول لك: ضربونا بأسئلة الامتحان، من ضربكم؟ فيقول: وزارة التربية، الأستاذ قال لنا هذا الدرس مخذول ووضع لنا سؤالاً منه، نسأل الأستاذ فيقول: أنا لم أحذف شيئاً.

يقول الطلاب مثلاً: الأسئلة صعبة جداً، جاء لنا بسؤال من خارج المنهاج، هو يعتقد أنه مظلوم فأنت تجاهسه على شيء وهو لا دخل له هو مظلوم فيه، ونفس الشيء هذا الأمر يمارسوه الكبار، الكبار عندما يواجهون مشكلة ما فيقول: أنا مظلوم، أنا لست فاعلاً في الموضوع، فيحاول أن ينجو بهذه الطريقة، فربما عَزَّ وجِلَ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَنْ يَنْقَعِدُكُمُ التَّوْمَ إِذْ طَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَدَابِ مُشْرِكُونَ (39)

(سورة الزخرف)

يعني إذا كنتم تعتقدون أنكم إذا كنتم كثُر هل نفعو عن الجميع؟ لا، ولذلك أسوأ شيء يقوم به المُدرِّسون عندما يجد عشرة طلاب في الصف لم يكتبوا الواجب فلا يعاقب أحد، ففي الدرس القادم لن يكتب أحد، لو كان واحد فقط كاتب الواجب يجب أن يكافئه، والناس وعشرون طالباً لم يكتبوا فيجب أن يعاقبهم، وقد تكون مكافأته عقوبة لهم، لأنه عندما أعطيته علامة إضافية وهم لم يكتبوا، فتكون مكافأته عقوبة لهم، لكن لا عقاب ولا تجاهس لفهم كثُر، فأنت أعطيتهم مثلاً أن الشعور بالظلمومة ينعدم، وهذه من أساليب عدم تحمل المسؤولية، ويجب أن تعلم الصغار قبل الكبار، هذا الجيل القادم أن يتحمل المسؤولية، عملك غلط، أنت كُن صادقاً وفُلِي لينا فللت وتحمل المسؤولية، ليس دائماً إذا قلت الصدق سأغفو عنك، قد أغريك لكن أنت رجل والرجل يتحمّل المسؤولية، إذا أخطأت قُل أنا أخطأت، وبعد ذلك قد أغفو عنك وقد أحاسبي، لكن يكفيك أنك رجل أمام نفسك وتحمّل المسؤولية.

الآن انظروا إلى هذه القصة القصيرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كيف أنَّ رجُل تحمّل المسؤولية، كما يروي أنس بن مالك رضي الله عنه:

{**بَيْنَمَا تَحْنُ خُلُوسُنْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى حَمِيلٍ، فَأَبْنَاهُ فِي الْمَسْجِدِ نَمْ عَقْلَهُ، نَمْ**

قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدُ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم مُنْكِرٌ بَيْنَ طَهَرَاتِهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمَكْنُونُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَحْبَبْتَكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي سَأْتَلُكَ فَمُسَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَحِدْ عَلَيَّ فِي تَفْسِيلِكَ، فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلَّهُمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْسُدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمْرَكَ أَنْ تَصُومَ هَذَا السَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قال: اللَّهُ أَمْرَكَ أَنْ تُصْلِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟

قال: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قال: أَنْسُدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمْرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْيَانِنَا فَقَسِّمْهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ،

فَقَالَ الرَّجُلُ: آتَيْتُ بِمَا جِنْتُ بِهِ، وَأَنَا رَسُولٌ مَنْ وَرَأَيَ مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِيَامٌ بْنُ تَعْلَيَةَ أَخُو تَبَّيِّ سَعْدَ بْنَ بَكْرٍ }

(صحيف البخاري)

النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له مجلس خاص، أو هيئة خاصة، أو طريقة خاصة في التعاطي، وإنما كان واحداً بين أصحابه، فلما دخل الرجل وفُلِي في المسجد فما عرفه، قال: **(أَيُّكُمْ مُحَمَّدُ؟)** وهذه إشارة إلى تواضعه صلى الله عليه وسلم وفُلِي من الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الْمَطَعَامَ وَبَمْسُوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ ۝ وَجَعَلْنَا بَعْصَكُمْ لِيَعْصِ فِتْنَةَ أَصْبِرُونَ ۝ وَكَانَ رَبُّكَ

بَصِيرًا (20)

(سورة الفرقان)

عندما يكون هناك أفكار مغلوطة يجب أن تبدأ بالهدم لتبني أفكاراً صحيحة:

(والنبي صلى الله عليه وسلم مُنْكِرٌ بَيْنَ طَهَرَاتِهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمَكْنُونُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلَّهُمْ؟

فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قال: أَنْسُدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمْرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْيَانِنَا فَقَسِّمْهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ،

فَقَالَ الرَّجُلُ: آتَيْتُ بِمَا جِنْتُ بِهِ، وَأَنَا ضِيَامٌ بْنُ تَعْلَيَةَ أَخُو تَبَّيِّ سَعْدَ بْنَ بَكْرٍ).

{ عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: بعثت بنو سعد بن بكير ضمام بن تعليبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عليه، وأنجعه على باب المسجد، ثم عقله ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد في أصحابه، وكان ضمام بن تعليبة رجلاً حمداً الشاعر الذي غَدِيرَيْنِ، قال: فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه، فقال: أين عبد المطلب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب، قال: محمد؟ قال: نعم، قال: يا بن عبد المطلب، إني سائلك ومغليظ عليك في المسألة؛ فلا تجده في نفسك، قال: لا أجده في نفسي، سأ عما بدا لي، قال: أنسدك بالله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعذك، الله أمرك أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأوثان التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: اللهم نعم، قال: فأنسدك بالله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعذك، الله أمرك أن تصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة: الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، يُنشدُه عند كل فريضة كما يُنشدُه في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنيأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وساوّدَه هذه القراءتين، وأجيتب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أقصُّ، قال: ثم انتصر إلى بيته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن يمدون ذو العقיצتين يدخل الجنة، قال: فأتي بعيرة فاطلقة عقالة، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: يُنسِّي اللات والغرى، قالوا: مم يا ضمام! أتى الترصن، أتى الجدام، أتى الجنون، قال: وبِكُم! إنهمما والله ما تصران وما تنفعان، وإن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإننيأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد رسوله، وقد جئتم من عنده بما أمركم به وأنهَاكم عنه، قال: فوالله، ما أمنسي من ذلك اليوم في حاضريه من رجل ولا امرأ إلا مُسلماً، قال ابن عباس: فما سمعنا بواحدٍ قطٍ كان أفضل من ضمام بن تعليبة }

(أخرجه أحمد والطبراني)

بدأ بالهدم لأنه أنت عندما يكون هناك أفكاراً مغلولة، لا تستطيع أن تبني أفكاراً صحيحة قبل التخلية، التخلية ثم التحلية (قال: يُنسِّي اللات والغرى، قالوا: مم يا ضمام!) يعني أكفي لا تتكلم (أتى الترصن، أتى الجدام، أتى الجنون) كانوا يعتقدون أنه من يمس الألهة بسوء، يُصبح عنده برص، أو جنون، يعني أمراض، (قال: وبِكُم! إنهمما والله ما تصران وما تنفعان، وإن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإننيأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد رسوله، وقد جئتم من عنده بما أمركم به وأنهَاكم عنه، قال: فوالله، ما أمنسي من ذلك اليوم في حاضريه من رجل ولا امرأ إلا مُسلماً) انطروا كيف تحمل المسؤولية! (قال ابن عباس: فما سمعنا بواحدٍ قطٍ كان أفضل من ضمام بن تعليبة).

القصد أن هذا الرجل حمل مسؤولية قومه كلهم، يعني سُئر أنه هو مسؤول أمام الله عز وجل، علم الحقيقة و يجب أن يُلْغِها.

كلما شعر الإنسان بعظم المسؤولية يتحرك أكثر لأداء شيء:

اليوم كل إنسان فيما يقدر ما يحمل من مسؤولية أمام الله عز وجل، أمام المسلمين، أمام أهل بيته، أمام أهلنا في الأرض المحتلة، بعض النظر كلها مسؤوليات، فكلما شعر الإنسان بعظم المسؤولية يتحرك أكثر لأداء شيء.

يُسْمِمُ اللَّهُ الْحُكْمُ لِلرَّحِيمِ
لِيُنْفِقُ دُونَ سَعَةٍ مِّنْ سَعْيِهِ ۝ وَمَنْ فُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا أَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَعْلُمُ اللَّهُ بَعْدَ عَسْرٍ يُسْرًا (7)
(سورة الطلاق)

فالذي آتاه الله علماً يتحرك ضمن نطاق العلم، والذي آتاه الله مالاً يتحرك ضمن نطاق المال، والذي آتاه الله جاهماً يتحرك ضمن مسؤولياته وهكذا، لكن لا يُدَّعَ أن نعلم أنه فرق كبير بين من يُحْكَلُ المسؤولية للآخرين، وبين من يتحمّل المسؤولية، من يتحمّل وبحمل، فنحن نريد أن نتحمّل المسؤولية لأن نُحْمَلُها، ويدأ ذلك من اللحظة التي نقف فيها مع أيفستنا وقفه صادقة، مسؤولياتي أمام الحلق، مسؤولياتي أمام أمي وأبي وإخوتي، أنا ما هي المسؤولية التي أمامي التي ينبعي أن أحملها بصدق لا أن ألقها على الآخرين، وأنا سُجّلت مقطعاً بخمس دقائق موجود على اليوتيوب عن كيف تحمل المسؤولية، ممكن أن فُضّله في لقاء آخر إن شاء الله، عن الآليات التي تتوجب من أجل جيل يحمل المسؤولية، هذا والله تعالى أعلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.